محمود شيث خطاب أديباً

بقلم: د. مجاهد بهجت*

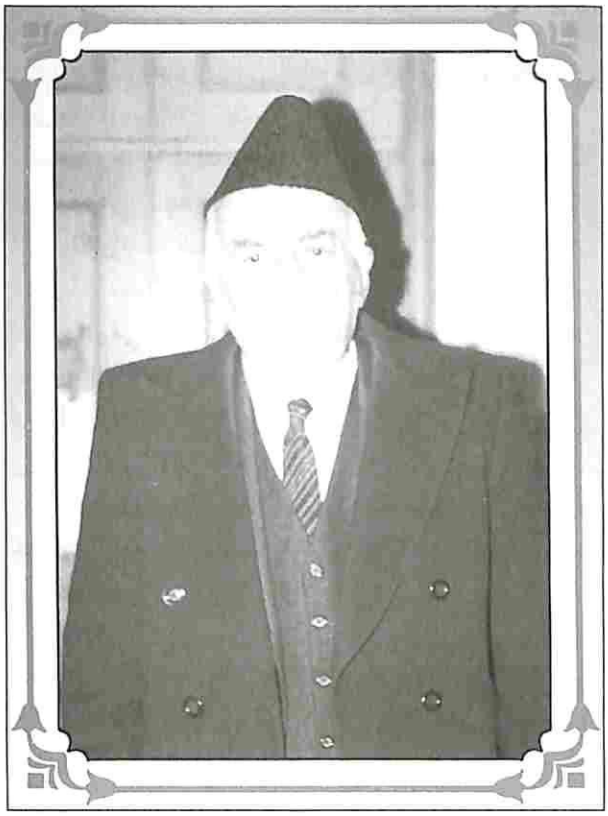

محمود شيث خطاب

من أعلام العصر الذين فقدناهم اللواء محمود شيث خطاب الذي عرف بصلته الوثيقة بالسيرة النبوية الشريفة، والتاريخ الإسلامي. لقد كان - رحمه الله - مفكرا ناضجا، وعالما عاملا ترك لنا تراثا زاهرا في اختصاصه العسكري تحقيقا وتأليفا.

وقد كان له حظ وافر في المجال الأدبي إذ أسهم في إصدار سلسلة من الكتب القصصية الهادفة ذات الطابع الإسلامي الواقعي الذي يحيي المعاني الإسلامية، ويبرز البعد الغيبي في الإيمان بالله تعالى، وقدره (خيره وشره). وقصصه إن خلت من عنصر الخيال المجنح، فهي تحفل بغرائب الأحداث وعجائبها مما يقع في كل عصر ومكان، ويضفي على قصصه عنصر الإثارة والتشويق.

لقد نشر مجموعتين قصصيتين هما: عدالة السماء[1]، وتدابير القدر مما وقفت عليه، ثم نشر مجموعتين أخريين وهما : الرقيب العتيد، واليوم الموعود[2].

وهو جدير بأن ينهض أحد طلبة الدراسات العليا – ممن تتيسر له أدوات البحث بجمع آثاره – للكتابة فيه أديبا وقاصا، لاستجلاء هذا الجانب المجهول من شخصيته.

وسأتناول في هذا البحث دراسة واحدة من مؤلفاته الأدبية التراثية وهي «أقباس روحانية»[3] ويقع في ١٩٥ صفحة بتقديم شيخ الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود، وله في هذا المجال كتابان آخران هما «ومضات من نور المصطفى». و «نفحات روحانية».

وعنوان الكتاب دال في لفظه، فالقبس لغة شعلة من نار تقتبسها من معظم، واقتباسها الأخذ منها، قوله تعالى: ﴿بشهاب قبس﴾ [4]. والقبس النار التي تأخذها من طرف عود. واقتبست منه نارا، واقتبست

* كاتب وناقد عراقي ، أستاذ الأدب العربي بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

منه علما أيضاً أي استفدته وفي حديث العرباض : «أتيناك زائرين ومقتبسين، أي طالبي العلم...» وأتانا فلان يقبس العلم فأقبسناه أي علمناه.

«وقبس الرجل علما أو نورا : أفاده إياه فهو قابس أقباس... واقتبس منه علما : استفاده، ويقال : جئت لأقتبس من أنوارك، وفي التنزيل :﴿ **انظرونا نقتبس من نوركم...** ﴾[٥]، وروحانية بضم الراء وفتحها : نسبة إلى الرُّوح أو الرَّوح، والروح بالضم ما به حياة النفس، والروحاني : ما فيه الروح، ويسمى القرآن وعيسى وجبريل (عليهما السلام) روحا، والنسبة إلى الملائكة والجن (روحاني) بضم الراء، والجمع روحانيون، وكذا لكل شيء فيه روح روحاني بالضم.

أما الروح بالفتح فله معان كثيرة، فهو نسيم الريح أو برده، والرحمة والسرور والفرح، والاستراحة من غم القلب، والملائكة الروحانيون بضم الراء وفتحها كأنه نسب إلى الرُّوح أو الرَّوح، والألف والنون من زيادات النسب.

فكأن المؤلف أراد من كتابه أن يفيد علما-بمختاره ومنتخبه - محبي العلم وشداة الأدب، وأن يحقق به الراحة والرحمة، والسرور والفرح، وضبط الكلمة (روحانية) بفتح الراء أرجح وأولى لأن الدلالة أعم وأشمل في المعنى.

المنتخبات الأدبية:

وهذا الكتاب يصنف في المنتخبات الأدبية، وقد حفل تراثنا بمثل هذا اللون من الكتب والمؤلفات ولعل بواكيرها تتمثل في المنتخبات الشعرية الأولى التي ظهرت في العصر العباسي كالمفضليات والأصمعيات والاختيارين، وجمهرة أشعار العرب.

ومن اللافت للنظر قلة المنتخبات النثرية في القرون المبكرة فكان الشعر عند المتقدمين موطن الحكمة والعلم والأدب والأخلاق، لكننا نجد طائفة غير قليلة من الكتب والمؤلفات الأدبية تتضمن نصوصا نثرية مختارة كالخطب والرسائل الديوانية والإخوانية والأدبية، والأمثال والحكم، والكامل والفاضل للمبرد، والعقد الفريد لابن عبدربه، وزهر الآداب للحصري... إلخ، ويمكن أن ندرج في صنف المنتخبات النثرية طائفة كتب الأمالي للقالي والشريف المرتضى وابن الشجري.

لكن الفرق الواضح بين المنتخبات الشعرية السابقة، وهذه المنتخبات النثرية أن الأخيرة ليست منتخبات خالصة، بل هي كتب أدبية تتضمن إلى النص النثري الآيات والأحاديث، والأخبار عن الحوادث والمناسبات، والمسائل اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية، فضلا عن جهد المؤلف نحو النص في البيان والشرح والتعليق والنقد.

وفي عصر النهضة وجدنا طائفة من المنتخبات النثرية ضمن حركة التأليف الأدبي، ومنها جمهرة خطب العرب، وجمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صفوت[٦].

ومن هذا القبيل في الاختيار النثري النوعي حديثا: ما ألفه الدكتور مصطفى السباعي : القلائد من فرائد الفوائد[٧]، وهكذا علمتني الحياة في قسمين[٨]، وما اختاره الشيخ أبو الحسن على الندوي: مختارات من أدب العرب (قسم النثر)[٩]، وروائع من أدب الدعوة[١٠] وما اختاره الأستاذ عبدالسلام هارون: قطوف أدبية[١١]، وما جمعته الدكتورة وداد القاضي: مختارات من النثر العربي[١٢].

أهداف الكتاب ومنهجه:

هناك علاقة مدركة بين أهداف أي كتاب ومنهجه، فحين يعد المؤلف كتابه للمتخصصين في فن من الفنون يلتزم في منهجه طرائق التأليف المعتمدة والمعهودة في ذلك الفن، أما إذا كان الكتاب لأصحاب الثقافة العامة من غير المتخصصين فيتجوز المؤلف في المنهج، ويبيح لنفسه الخروج عنه.

وإذا أردنا الوقوف على هدف كتاب «الأقباس» فسنجد ذلك واضحاً في تقديم الدكتور عبدالحليم محمود - إذ لم يكتب المؤلف مقدمة كتابه - حيث يرى «الأقباس» خير ما يقدم في مجال الدعوة إلى الله على بصيرة وهدى قولا وسلوكا، ففيها، ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد إن الذكر تنفع المؤمنين. وفيها الملحة والطرفة الأدبية التي تسكن إليها النفس ويرتاح إليها القلب.. فإن القلوب إذا كلت عميت، وإذا عميت ماتت [١٣].

أما مادة الكتاب فلم تخضع لمنهج علمي أو مدرسي في ترتيب النصوص المختارة وتنظيمها

كالمنهج التاريخي الزمني أو المنهج الموضوعي حسب القضايا والأفكار المطروحة، وإنما أراد عرض مادته منثورة، وإيرادها مختلفة متباينة متنوعة لتكون أقرب في التناول ومستساغة المذاق، وأعمق في التأثير وأبلغ في التوجيه بالتنقل من مَرْبع إلى مَرْبع، أو مَرْتع إلى مَرْتع، ومن فنن إلى فنن، أو زهرة إلى زهرة.

كذلك جاءت النصوص منثورة، والأخبار مأثورة والقصص واقعية، والنوادر طريفة وغريبة، وكلها ذات مغزى كبير وفوائد جمة.. ويمكن القول : إن خروج الكتاب عن الترتيب والنظام هدف في حد ذاته يدفع السآمة والملالة من النظام والرتابة الشكلية، فينشط القارئ ويبعثه على الاستزادة والمتابعة.

وقديما وجدنا هذا النمط من التأليف لدى الجاحظ في البيان والتبيين ومؤلفاته الأخرى، وفي كتب الأمالي المعروفة كأمالي القالي والمرتضى وابن الشجري.

والنصوص في الأقباس متفاوتة في الطول، فبعضها موجز قصير يأتي على سبيل الأمثال والحكم في سطر أو بعض سطر، كنصوص الحديث النبوي : «اتقوا دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب»[١٤]، وكجواب الرسول ﷺ لسؤال العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه فيم الجمال؟ قال : «في اللسان»، وقد يكون النص متوسطا في الطول في فقرة أو فقرتين لا تزيد عن صفحة واحدة، وهو أكثر نصوص الأقباس، وقد يكون النص طويلا في أربع صفحات كقصةأبي حازم مع سليمان بن عبدالملك، والعقاب العاجل، والسجين المظلوم، وإمام المسلمين.

مصادر الأقباس وتوثيقها:

تتميز نصوص الأقباس بأنها نثرية أصيلة، وتكاد تكون كلها من مصادر تاريخية وأدبية قديمة إلاّ القليل الذي ورد مما رواه المؤلف [١٥]، والأرجح في مصادر الأقباس أن تكون من كتب الحديث والسيرة النبوية والحوليات التاريخية، وكتب التراجم والطبقات.

ونحن وإن كنا واثقين في نقله لتلك الأخبار وروايته لها، لكنه لا ينسب تلك النصوص إلى مظانها، ولا يذكر مصادر مادته[١٦]، وهذا وإن كان غير مقبول في البحوث العلمية إلاّ أنه مرضي في الكتب الثقافية العامة غير المتخصصة. وهو كذلك لا يسوق سلسلة رجال السند في الرواية مما تلتزم به كتب القدماء، وبعض كتب المحدثين - تخفيفا على القارئ - وهو أمر يتناسب مع طبيعة الكتاب وتصميمه لأصحاب الثقافة العامة متجاوزا نهج المتخصصين في علم الحديث والتاريخ.

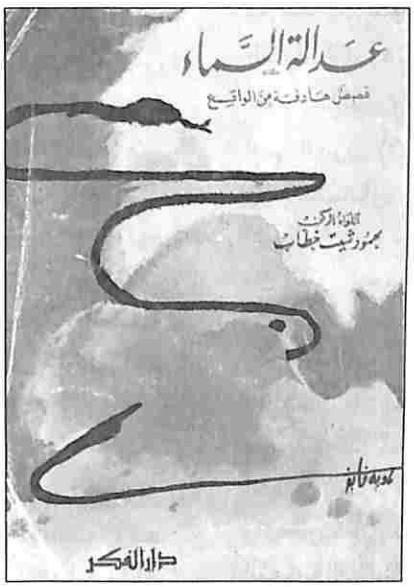

لغته وأسلوبه:

ويتميز ما اختاره من نصوص بلغته السهلة والواضحة، وبيانه السائغ العذب، بعيدا عن الصعب أو الغريب من الألفاظ، ولا يكاد يحتاج القارئ في فهمها إلى مراجعة اللغة إذ أغناه عن ذلك بشرح الألفاظ والمصطلحات القليلة التي تحتاج لبيان وإيضاح بذكر معناها في سياقها، كالذي ورد في قصة الصحابيين سعيد بن زيد، وعمير بن سعد، وبعض هذه المفردات في الدعاء أو الحديث النبوي أو النص الشعري[١٧]، وأحيانا يكون ذلك بيانا لاسم قبيلة أو اسم قلعة أو بلدة... أو غير ذلك.

وقد بقيت بعض المفردات في بعض النصوص تحتاج إلى بيان لمعناها. كالكلمات التي وردت في نص «بين زوجين» مما ورد على لسان أبي الأسود الدؤلي.

والنصوص يعرضها المؤلف عرضاً متصلا متتابعا، وأحيالنا تأتي بلغة الخطاب أو الحوار، ولا يقطع عليك استرسالك مع مضمون النص وانسيابك مع معاني النصوص.. بل لا يزيد عليها قليلا أو كثيرا.. لكنه أحيانا قليلة يعلق على النص في آخره تعليقا يزيدك فهما للنص ويوثق علاقتك به...

مادة الكتاب وموضوعاته:

مادة الكتاب متنوعة، أحسن المؤلف اختيارها، وأجاد صوغها وعرضها، وهي بين خبز تاريخي، وقصة غريبة، ونادرة طريفة وواقعة فريدة.

ويمكن أن نجد خيطاً ينتظم هذه الأقباس الروحانية حيث نراه يقتبسها من السيرة النبوية الشريفة، وحياة الخلفاء الراشدين والصحابة الأجلاء - رضوان الله عليهم - والسلف الصالح والعلماء الأفاضل، وهي كذلك تستوعب أخباراً وقصصا ذات مغزى ونوادر وطرائف قديمة وحديثة...

ويمكن تصنيف سيرة الكتاب إلى خمسة محاور :

١- سيرة الرسول ﷺ، والخلفاء الراشدين، والصحابة رضوان الله عليهم.

٢- أخبار السلف - رضي الله عنهم - طلبا للعلم ورعاية لأهله.

٣- موقف العلماء والزهاد والقضاة من الحكام والسلاطين.

٤- القصص الطريفة والنوادر الغريبة.

٥- المنثور من الحكم والمواعظ.

المحور الأول :

يذكر فيه أبرز صفات الرسول ﷺ، وطرفا من سيرته العطرة، فمن ذلك زهده وهو ستة نصوص تصف قلة طعامه، وقد آثر ذلك على أن تجعل له بطحاء مكة ذهبا، وشجاعته في أربع نصوص، أولها ما قاله لكبراء قريش : «والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح!!» وذلك بعد غمزهم الرسول ﷺ وتكرارهم ذلك وهو يطوف حول الكعبة.. ثم أورد طرفاً من مواقفه في معركة بدر، وغزوة الأحزاب ويوم حنين.. وفي عبادته أورد ثلاثة نصوص تصف قيامه في الليل وتسبيحه، ولجوفه - في صلاته - أزيز كأزيز المرجل..، وفي هيبته أورد أربعة أخبار تبين نظرة الصحابة له بإكبار وإجلال، وهيبة أعدائه له في قصة الأراشي الذي أعانه ﷺ في أداء حقه من أبي جهل، ثم أورد مثالا في تربيته لبعض الأعراب، وذكر قصة - في كتمانه - وقعت بأرض بدر.

وذكر أخبارا عن الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - تكشف عن سيرتهم العطرة وأخلاقهم الفاضلة، فعن الصديق ذكر صحبته للرسول ﷺ في غار حراء، ثم ذكر ثلاثة نصوص تعرف بزهده في الدنيا وكثرة إنفاقه في سبيل الله.

وعن الفاروق ذكر قصة هجرته إلى المدينة مع روح التحدي للمشركين، وساق سبعة نصوص تصف زهده وإعراضه عن الدنيا، وثوبه المرقع، وتحذيره من إقبال الدنيا وإشفاقه على أمته، وذكر في موضع آخر قصته مع المرأة المتظلمة وشراء مظلمتها، وكذلك موقفه من الهرمزان الذي احتال للحصول على الأمان، وقصته مع ولده عبدالله.

وعرض لحياة عثمان رضي الله عنه، وما كان فيه من نعمة قبل الإسلام، وبذل وسخاء بعده، وتجهيز جيش العسرة، وفي موضع آخر ذكر دعوته المستجابة - على من لطم زوجته - بقطع يديه وبتر ساقيه وعمى عينيه.

وعن علي رضي الله عنه ذكر ثلاثة نصوص، قصته مع زوجته فاطمة رضي الله عنها وطلبها الخادم من الرسول ﷺ، ووصفه لعلي بالزهد، ووصف ضرار لعلي عند معاوية.

وساق ثلاثة أخبار عن الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز، خطبته عند توليه الخلافة، وتطبيق حد الخمر على مجالس شارب الخمر وإن كان صائما، وورعه برفضه عطاء الشعراء.

أما الصحابة الآخرون الذين ذكر طرفا من سيرهم، فمنهم طلحة والزبير حيث يذكر ثلاثة نصوص لكل منهما توضح مقدار صدقاتهما وإنفاقهما في سبيل الله، ثم يذكر موقف الصحابي سعد بن أبي وقاص من فتنة السراء.

المحور الثاني :

ينتظم أخبار السلف - رضي الله عنهم - فمن ذلك خبر الأعرابي الذي أتي قبر الرسول ﷺ مستغفرا وإنشاده الأبيات، والعقاب العاجل للزبيري بعد افترائه على موسى بن عبدالله ويمينه الكاذبة، وإطلاق الرشيد لموسى بن جعفر ليلا، وقصة العباسي التائب الهارب بدينه.

وهناك طائفة من الأخبار المتميزة عن السلف وطلبهم للعلم ورعايتهم لأهله، فمن ذلك خبر بقي بن مخلد وأخذه عن الإمام أحمد إبان المحنة، وسماع الإمام أحمد عن عبدالرزاق بصنعاء وإن كان قد لقيه

بمكة، وتلقي ابن القاسم العلم عن الإمام مالك سبع عشرة سنة، حتى أتاه ولده من مصر شاباً وكان جنينا في بطن أمه حين ترك مصر، وفي تربية المعلم قصة محمد بن الحسن مع تلميذه أسد بن الفرات، وعناية أبي حنيفة بأبي يوسف ورعايته. ومن النصوص في هذا الباب: تواضع الرشيد للإمام مالك طلبا للعلم، وعزة الإمام الشافعي بالتقوى، وقصة عبدالقادر الجيلاني ببغداد وقد اشتد به الجوع ثم وصول نفقته من أمه، وقصة القاضي المالكي في رحيله عن بغداد لضنكه وضيقه.

المحور الثالث:

يتناول فيه موقف العلماء والزهاد والقضاة من الحكام والسلاطين، وقد أورد المؤلف نصوصا كثيرة ذات قيمة كبيرة في هذا الباب.

فهناك خبران عن أعرابي وعروة بن أذينة الفقيه الشاعر مع الخليفة هشام بن عبدالملك، وهناك موقفان بارزان لأبي حازم مع سليمان بن عبدالملك، وموقف آخر لأبي نصير الطائي مع سليمان أيضا، وأورد رسالة موجزة لطاووس اتعظ بها عمر بن عبدالعزيز.

وأورد ثلاثة مواقف تجاه الخليفة أبي جعفر المنصور من الإمام مالك، والأوزاعي وسفيان الثوري، وذكر موقفاً آخر للأوزاعي تجاه عبدالله بن علي.

ومن هذه المواقف المشهورة موعظة الفضيل بن عياض للرشيد، ومواعظ ابن السماك للرشيد أيضا.

ومن المواقف المشهورة موقف العز بن عبدالسلام وصلابته تجاه حاكم دمشق «إسماعيل» الذي والى النصارى، وجرأة عبدالحميد الجزائري في نشر أفكاره تجاه المندوب الفرنسي.

المحور الرابع :

تضمن قصصا وأخبارا طريفة، ونوادر غريبة، وأكثر ذلك تاريخي قديم، وبعضه واقعي حديث: فمن ذلك قصة صاحب النقب الذي نصر به المسلمون لكنه أبى التكريم ورضي أن يكون مجهولا، وقصة عقد اللؤلؤ الثمين الذي عثر عليه رجل فلم يقبل ثمنا لإعادته لصاحبه، فقدر الله له ذلك العقد والمال الكثير جزاء أمانته، وقصة السجين القاتل المظلوم الذي نجا بفضل دعاء الجارية التي دافع عنها وسترها، ومن ذلك قصة عروة بن الزبير وصبره على فقد رجله وولده، وقصة الحيري الذي اؤتمن على جارية فعشقها واتعظ بما فعله الشيخ يوسف، ومعرفة سليمان عليه الصلاة والسلام للسارق، وقصة الجبار الفاطمي الذي أذله الذباب، ومن القصص الطريف ما حدث بين الدؤلي وزوجه بين يدي القاضي.

ولعل من القصص الواقعي الرمزي ما ذكره ،وهو ثلاثة نماذج:

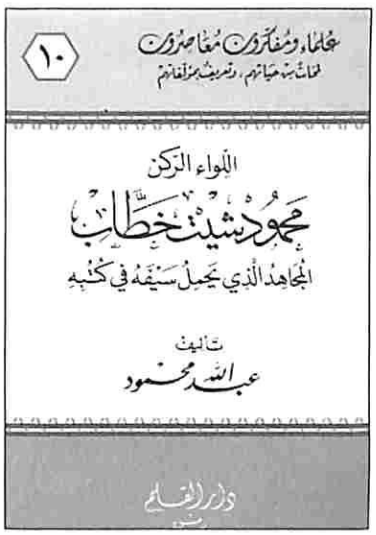

فقصة من مدينة المؤلف (الموصل) عن أشهر السراق الذي حاول سرقة دار جاره، لكنه كان يرى طوال الليل حلقة الذكر حتى مطلع الفجر، وبعد أسبوع سأل السارق صاحب البيت عن إقامة الذكر كل يوم ؟ فتعجب صاحب الدار لأنه لم يعقد حلقة الذكر منذ سنوات فاعترف اللص بما حدث؟!!

وقريبا من هذه القصة، قصةأسرة صغيرة فارق صاحبها أهله، وداهم البيت اللصوص ودخلوا فيه، ثم سمعوا صوتا جهورا يتلو القرآن، وهرب اللصوص !!

وأخيرا قصة الأبناء الثلاثة الذين ترك لهم أبوهم بطيخة فاختلفوا في حفظها والانتفاع منها، ثم ترجح رأي أحدهم بالانتفاع من بذورها ليتصل القديم بالحديث.

شخصية الكاتب:

يصعب على القارئ أن يجد شخصية المؤلف واضحة في مثل هذه الكتب القائمة على الاختيار والانتخاب للنصوص الشعرية والنثرية، ولكن يمكن تلمس شخصية الباحث بطريقة غير مباشرة في حسن اختياره لهذه النصوص بما يحقق الهدف التعليمي والخلقي والترفيهي المنشود في هذا الكتاب،

وقديما قيل عن أبي تمام :«في جمعه للحماسة أشعر منه في شعره»، وقيل : قد عرفناك باختيارك إذ كان دليلا على اللبيب اختياره (١٨).

ويمكن أن نلمس شخصية الباحث كذلك في حسن صياغته لعناوين النصوص، والأرجح أن تكون هذه العناوين من وضع المؤلف، وإن كان ذكر هذه العناوين في كتب التراث القديمة غير مألوف، وقد تصرف بعض المحققين المحدثين بوضع عناوين جانبية للنصوص الأدبية القديمة شعرا ونثرا، لتحقيق فائدة مهمة وهي الفصل بين النصوص، وتنبيه القارئ لمضمون النص ومنحه مؤشرا واضحا لمغزى تلك النصوص. ومن العناوين الدالة التي تكشف عن توجيه المؤلف للقارئ ما ورد عن صفة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وهو الزهد، إذ جاءت العناوين متتابعة على هذا النحو «سيد الزهاد، الصديق، ذو النورين الزاهد، الإمام الزاهد » وبعدها يورد نصوصا ثلاثة تحت عنوان «زهد القادرين» معلقا على النصوص السابقة لدفع الشبهات الواردة على الزهد الحقيقي، ويجعل الزهد في مرتبتين: زهد القناعة الواجدة، وزهد الرضا للصابرين الصادقين، وفي النص الثاني يذكر قصة واعظ ادعى أحد معارفه الزهد وهو لا يملك شيئا ؟!، وفي النص الثالث يذكر انقطاع ابن الهبارية عن مجونه، وحين سئل عن ذلك وسبب توبته قال : «على يد الإفلاس تبت ؟!!».

وتتميز عناوينه بإيجازها، فهي لا تكاد تتجاوز الكلمتين، وبعضها يقترن باسم العلم كما مر الذكر في نصوص الزهد السابقة، ومثل : «ورع الأحنف» و«عدل عمري» و «دعوة سعد» و «رؤيا ابن عمر» و«ورع أحمد» وبعضها يأتي في كلمة واحدة مثل «عجبت» و «شكوتموني» و «التوبة» و «الرزق»، وقد أحسن المؤلف اختيار هذه العناوين للوصول إلى معنى تلك النصوص ومغزاها وحكمتها.

ولعل أوضح ما يدل على شخصية الباحث تعليقاته على النصوص، وإن كان أكثر نصوص الكتاب لم يعلق عليها المؤلف.

أما التعليقات الواردة حول النصوص فهي تأتي في آخر النصوص ونهايتها، وجملتها موجزة مختصرة، والمؤلف بهذه التعليقات لا يفسد على القارئ فرصة التمتع بالنص وتذوقه. وإدراكه حكمته، وتحقيق التذكير به، بل يساعده على ذلك ويشاركه في هذه المهمة، ويمكن أن تحقق هذه العبارة مهمة استخلاص المعنى الثاني الذي يغيب عن البعض ولا يدركونه إلا بمزيد تدبر وتأمل.

ومن تعليقاته الموجزة المختصرة اكتفاؤه بالتصديق لأحاديث الرسول ﷺ، أو الترضي عن الصحابة.

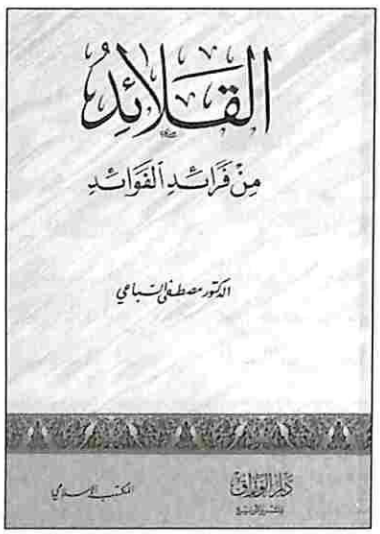

ومن التعليقات الموجزة المفيدة قوله بعد النص الأول من «سيد الشجعان»- إذ أنذر الرسول ﷺ المشركين بالذبح بعد غمزهم وطعنهم فيه وهو يطوف حول الكعبة- وتعليقه على النص : «كان ذلك أيام ضعف المسلمين قبل الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة، وقبل إسلام حمزة عم النبي ﷺ، والفائدة ظاهرة في التعليق لدقة موقف الرسول ﷺ وحرجه في مثل ظرفه ضعفا وقلة أعوان...

وبعد النصوص الأربعة التي أوردها في «هيبة الرسول ﷺ» قال معلقاً - بإيجاز - في النص الخامس : «إن هيبة النبي ﷺ كانت هبة من الله، فلم يكن جبارا بل هو رحمة للعالمين، وصدق الله العظيم ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ (١٩).

ومن التعليقات الطويلة ما ذكره بعد النص الرابع من «سيد الشجعان» السابق ذكره يقول : «لقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام، يقود رجاله من الأمام، يقول لهم : «اتبعوني.. اتبعوني..» ولم يكن يقودهم من(الخلف)، يقول لهم «تقدموا.. تقدموا..» ثم يأوي إلى مقر آمن مريح، لذلك استحوذ بشجاعته وإقدامه، وببذله وتضحيته - استحوذ بكل ذاك وأكثر على ثقة رجاله...» ويختم التعليق بقوله : «صلى الله على

سيدي ومولاي ورسول الله، سيد القادات وقائد السادات، رجل الرجال وبطل الأبطال، قدوة المؤمنين وإمام المجاهدين، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين».

لقد أجاد المؤلف التعقيب على النص بتوجيه رسالة بالغة إلى قادة الشعوب والدول للاقتداء بهذا النموذج الفريد إن كانوا صادقين مع أنفسهم غيورين على شعوبهم وأممهم، ولعل هذه التعليقات وردت في كتابه «الرسول القائد».

ومن تعليقاته البارعة تحليلا لموقف الإمام أبي حازم ورده لهدية الخليفة سليمان بن عبدالملك خشية أن تكون عوضاً لموعظته وحديثه يقول :«لقد كان أبو حازم عليه رضوان الله يعلم العلم «عبادة» ولا يعده «تجارة»، ولذلك عرف مكانة العلم والعلماء، وحرص على عزة العلم والعلماء – رضي الله عنه وأرضاه –، ويعزر التعليق بحديث وآية فيهما معنى قول الحق دون خوف لومة لائم.

وأخيرا من تعليقاته المتميزة ما ورد عن «السجين المظلوم» و «إمام المسلمين»، وقصة «صاحب النقب» و «نحن من ماء» و «تأدية لحق الله»، وإيجازا واختصارا أختار ما ورد تعليقا على النص الثاني والثالث، قال بعد سرده قصة «بقي بن مخلد الأندلسي»، الذي ورد الإمام أحمد ببغداد أثناء محنته، واحتياله في طلب العلم، ثم اعتزاز الإمام أحمد به بعد انفراج المحنة، وزيارة أحمد له في مرضه قال : «هل أعلق على هذه الحديث ؟ لا.. إن ذلك يجني عليه، ولكني أقول : رضي الله عنهم، لقد أتعبوا العلماء والمتعلمين، والأساتذة والطلاب والمعلمين والتلاميذ من بعدهم».

أما النص الآخر فهو قصة الجندي المجهول الذي أحدث نقبا في حصون الروم، فتحقق النصر للمسلمين، وأراد القائد مسلمة معرفة الجندي لمكافأته، فجاء أحدهم ليدل عليه ثم اشترط عليهم ألا يسودوا باسمه في صحيفة إلى الخليفة، ولا يأمروا له بشيء، ولا يسألوه من هو، فوافق مسلمة على شروطه ثم قال الرجل :«أنا هو»، قال المؤلف معلقا :«لقد مات صاحب النقب في أجله الموعود، فنسيه الناس ولم يعرف بموته أحد، ولكن الله سبحانه وتعالى يعرفه ولا ينساه، وأين معرفة الناس وذكرهم من معرفة الله وذكره ؟!!

إن حاجة الناشئة من محبي الأدب للمنتخبات النثرية لا تقل عن حاجتهم إلى المنتخبات الشعرية، في عصر ضعفت فيه القرائح الأدبية، وانتكست السلائق الفطرية(*). ■

الهوامش:

١- طبع الكتاب في دار الفكر – دمشق ١٩٧٤م.
٢- مجلة المجتمع – الكويت – العدد ١٣٣٦، ٢ – ٨ فبراير ١٩٩٩م.
٣- طبعت الكتاب الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة ١٩٧٦م.
٤- سورة النمل ٢٧/٧.
٥- سورة الحديد، ١٣.
٦- ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٣م، والرسائل، ١٩٣٧م.
٧- ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
٩- ط ندوة العلماء، دار العلوم لكهنو، الهند ١٩٤٠م، ط٢، ١٩٥٦م.
١٠- ط٤، دار القلم، الكويت، ١٩٩٤م.
١١- ط٢، مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٨٨م.
١٢- ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.
١٣- أقباس روحانية، المقدمة، ص٧-٨.
١٤- الأقباس، ص١٧، وراجع ما ورد في الدعاء للمريض ص٥٧.
١٥- الأقباس، قصة ذكر الله، ص ١٠٤-١٠٦.
١٦- ذكر مصادر بعض النصوص مثل عقد اللؤلؤ ص٧٤ من ذيل الطبقات للحنابلة ١٩٦/١، و «حسن الظن بالله» ص١٦٢ من مقال الشيخ علي الطنطاوي في العدد ١٠٥، مجلة الرسالة، ١٩٣٥م و«أمانة العلم» ص١٢١ من وفيات الأعيان (ترجمة داوود بن علي).
١٧- الأقباس ١٨٨، وفي قصة وفود الشاعر عروة بن أذينة على هشام بن عبدالملك ص١٨٢.
١٨- شرح الحماسة للتبريزي ٢٦/١ وخزانة الأدب للبغدادي ١٧٢/١.
١٩- سورة القلم، آية ٤.
(*) عزا الكاتب جميع ما ورد من نصوص في مقاله، أو من إشارات إلى قصص، إلى مواضعها في كتاب (أقباس روحانية) واضطرت هيئة التحرير إلى حذفها طلباً للاختصار حيث وصلت الهوامش إلى مئة!!

المعروف

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « المعروف أفضل الكنوز ، وأحصن الحصون. لا يزهدنك فيه كفر من كفرك، فقد يشكرك عليه من لم تستمتع منه بشيء، وقد يدرك بشكر الشاكر ما يضيع الجحود الكافر».

المجتنى/٤١